جامعة الأزهر
كلية الشريعة والقانون بأسيوط
المجـــلة العلميـــة

القرون المفضلة : مفهومها ، وتحديدها

إعداد

د/ محمد بن سيس بن مقبول السفياني
قسم العقيدة، كلية الدعوة و أصول الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة
المملكة العربية السعودية

(العدد الثالث والثلاثون الإصدار الأول يناير ٢٠٢١م الجزء الثاني)

القرون المفضلة: مفهومها ،و تحديدها

محمد بن بسيس بن مقبول السفياني.

قسم العقيدة، كلية الدعوة و أصول الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.

البريد الالكتروني: mbsofyani@uqu.edu.sa

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن مفهوم القرون المفضلة، وتحديد عددها، وتحديد بدايتها ونهايتها، وأهمية ذلك؛ لأنها الإطار المرجعيّ الذي تقاس عليه العلوم والآراء والأحوال؛ فما وافق هَدْيَهَا قُبِل، وما خالف هديها لم يُقبل، والمنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الاستقرائي؛ ذلك بتتبع المادة العلمية من كتب اللغة والعقيدة والتفسير والحديث، والمنهج المقارن عند مقارنة الأقوال، ومنهج التحليل النقدي عند فحص المادة المدروسة واختبارها؛ وقد خلص البحث إلى أن القرن حقيقة في الجماعة من الناس، وحقيقة في مدة زمنية ثابتة، ولا يطلق على أحدهما إلا بقرينة كما هو معناه في أحاديث (خير القرون قرني) التي لا يراد به فيها مدة زمنية، وإنما يراد به الصحابة والتابعون وتابعيهم، كما أنَّ تحديد أول القرن وآخره أمرٌ تقريبيٌّ؛ نظرًا لطبيعة تداخل الأجيال، ويمكن معرفة القرن بأحد ضابطين: إما بمعرفة جمهور أهله، وإما بمعرفة أولهم وآخرهم، والأول أقرب، وأما تحديده الزماني بمقدار ثابت ففيه عشرة أقوال أصحها أنه مائة عام، لكن لا يصح تفسير أحاديث القرون بهذا المقدار؛ لأن النصوص لم تقصد التحديد الزمني، وأما عدد القرون المفضلة فقد وقع الشك فيه بسبب شك عمران بن الحصين –رضي الله عنه – هل هي ثلاثة؟ أو أربعة؟ وخلصت الدراسة إلى أنها أربعة قرون، لكن الثلاثة على وجه القطع، والرابع باعتبار الظن الراجح.

الكلمات المفتاحية: القرون – القرن – المفضلة – ضابط – عدد.

Preferable Centuries: Concept and Identification

Mohammed Bin Bassis Bin Maqbool Al-Sofyani
Department of Creed, College of Daʿwah and Theology, Umm Al-Qura University, Makkah Al-Mukarramah, Kingdom of Saudi Arabia.
Email: mbsofyani@uqu.edu.sa

Abstract:
The present study aims to illustrate the concept of preferable centuries, identify their number, determine their beginnings and ends and underline their importance, since they are the standard against which knowledge, views, and conditions are benchmarked. Whatever agrees with their guidelines is accepted, and whatever contradicts their guidelines is rejected. The study adopts the inductive research methodology which is utilized to track down scholarly materials in the books of Linguistics, Theology, Qur'an Interpretation, and Prophetic Tradition 'Hadith'. It also adopts the comparative approach when drawing comparisons among different views. It also adopts the critical analytical approach when scrutinizing and testing the materials analyzed. The study concludes that a century refers to both a generation of people in reality, and a certain period of time. It cannot be used to refer to only one of these two meanings except when there is a presumption or a circumstantial clue. This is true in the case of the Prophet's hadith that states, "The best of centuries is my century (i.e., people of my generation)". The word 'century' in this hadith cannot be used to refer to a certain period of time. Rather, it refers to the people of the generation that includes the Prophet's Companions, their Successors and their Followers. In addition, determining the beginning and the end of a

'century' is only approximate, due to the nature of the overlapping of generations. A century can be known by one of two criterions: either by knowing the majority of its people, or by knowing the first and the last one of them. The former is more precise. The fixed temporal demarcation of a century has triggered ten views, the most acceptable of which is that it is a period of one hundred years. Prophetic hadiths that mention the Arabic word qurūn (centuries) cannot be interpreted by reference to this temporal limitation. They are not intended to refer to a specific period of time. There was some doubt casted over the number of preferable centuries due to the suspicion expressed by ʿ Imrān Ibn Al-Ḥuṣayn (the hadith narrator), may God be pleased with him, as to whether they are three or four. The study concludes that they are four centuries; the first three ones are certainly stated while the fourth one is presumptively defined.

Keywords: the centuries – the century - favorable – criterion - number.

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آلـــه وصـــحبه ومن والاه أما بعد:

فقد كتبت بحثًا سابقًا عن نشأة المقالات في القرون المفضلة وعزمت على التعريف بالقرون المفضلة في صفحة أو صفحتين، وحين شرعت في التنقيب عن معنى القرون المفضلة أخذت مسائلها تظهر وتتكاثر وبدا أن لها فروعًا وذيولًـــا، ولم أشعر إلا بظهور موضوعٍ بحثيٍ لا يكفي فيه صفحة أو صـــفحتان، وحينهـــا قررت أن أفرده ببحث مستقل!

ثم تم رسم خطةً ذهنيةً وفق أسئلة ثوّرْتُها في نفسي هي: ما مفهوم القرن في اللغة؟ وما مفهومه في خطاب الشريعة؟ وكم عدد القرون المفضـــلة؟ ومتـــى بدأت ومتى انتهت؟ وهل هي إلى عام الثلاث مئة كما يشيع عند الناس أم لا؟ وما هي الإشكاليات المعرفية والمنهجية التي يمكن أن تعرض لكل هذه المفهومات لتتم الإجابة عنها؟

ثم إني عندما انتقلت لجمع المادة العلمية ظهر لي -لأول وهلـــة- كميـــة كبيرة جداً من كلام أهل العلم تتناثر كالدر في كتب التفسير عندما يعرض المفسر لمعنى القرن، وفي كتب الحديث عند شرح حديث (خير القرون قرني) لكني عندما تتبعت النُّقول وجمعت أكثر من سبعين نقلًا وجدت أنَّ أهل العلم ينقل بعضهم عـــن بعض دون إضافة! فيجيء المفسر أو الشارح للقرن فيقول: إنه الجماعـــة مـــن الناس، وقيل إنه مقدار زمني محدد! ثم يذكر المقادير وربما رجـــح وربمـــا لـــم يرجح، ثم ينتقل لتفسير الآية أو الحديث الذي يليه، مما يعني أن النقول وان بدت كثيرة الا أنها تعود لقضايا محددة ومادتها قليلة ممـــا يتطلـــب الحفـــر المعرفـــي العميق.

وأما الأسئلة التي أثرتها فلم أجد لها إجابات إلا قطعاً متناثرة عند شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ ابن حجر وقليل من الآخرين، وراعني كيف لهذا المفهوم رغم شهرته وكثرة تداوله أنه لم يفرد بالبحث فاستخرت الله واستعنته أن أتتبع دره المنثور في التراث العلمي وأجمعها وأنسقها وأحذف التكرار الكثير، وأبقى على مفاصل المسألة وفروعها، وأنظم كل ذلك في بحث تحته مطالب تحتها مسائل.

فبعد أن كنت أبحث عن تعريف ناجز للقرون المفضلة تحول هذا إلى بحث له فروع ومسارب كثيرة، وأدركت حينها معنى كون البحث العلمي عملية تراكمية لا تدخل في أحد أوديته إلا وتجد أنه يقودك إلى مسارب كثيرة، وحسب الباحث أن يتواضع امام سلطان العلم فيأخذ مبحثًا يمكنه أن يلم أطرافه ويحرر مسائله تاركًا للباحثين الآخرين إكمال البحث العلمي كلا بحسب تخصصه.

وقد جعلت عنوانه: (القرون المفضلة: مفهومها وحدودها).

مشكلة البحث:

دلت بعض الأحاديث أن القرون المفضلة هم الصحابة والتابعون وتابعوهم، مما يعني أن القرون المفضلة تنتهي بنهاية القرن الثاني الهجري، بينما جاءت نصوص شرعية أخرى تدل على أن القرن (١٠٠ عام) مما يعني أن القرون تنتهي بنهاية القرن الثالث الهجري، فكيف يمكن حل هذا التعارض؟ وبناءً عليه جاء هذا البحث ليحلَّ هذا المشكل ويجمع بين النصوص أو يرجح بينها، ويكشف مفهوم القرن، ويحدد بداياته ونهاياته.

أسئلة البحث:

تمت كتابة هذا البحث للإجابة على هذه الأسئلة:

- ما هو مفهوم القرن في اللغة؟ وفي خطاب الشريعة؟ وما العلاقة بينهما؟

- إذا كان للقرن أكثر من معنى فما هو المعنى المناسب لحديث (خير الناس قرني)؟
- ما هو الضابط الذي نحدد به بداية القرن ونهايته؟
- وهل القرون المفضلة أربعة قرون أم ثلاثة؟

أهداف البحث:

- أن يتم تحديد معنى القرن في اللغة وخطاب الشريعة مع إبراز العلاقة بينهما.
- تحديد المعنى المقصود في أحاديث (خير القرون قرني) من بين سائر المعاني.
- تحرير الضابط الذي يحدد بداية القرن ونهايته.
- تحقيق الكلام في عدد القرون المفضلة التي مدحها النبي صلى الله عليه وسلم.

أهمية البحث:

لما كانت القرون المفضلة هي المعيار الذي نحتكم إليه في فهم النصوص الشرعية كان لابد من تحديد قرن الصحابة وقرن التابعين وقرن تابعيهم لنعتمد على ما أجمعوا عليه من جهة ونرد ما ذموه وحذروا منه من جهة أخرى ونرجح فيما اختلفوا فيه بحسب قرائن الترجيح من جهة ثالثة.

مصطلحات البحث:

كتبت البحث وفق المصطلحات العلمية الأكاديمية المتعارف عليها:

مصطلحات التقسيم: مبحث، ثم مطلب ثم فقرات ثم أحرف ثم أرقام.

مع استخدام مصطلحات العقيدة ومصطلحات الحديث وعزو الأحاديث وفق ترقيمها في دواوين السنة.

الدراسات السابقة:

لم أقف على أي دراسة سابقة تبحث مفهوم القرون المفضلة وتحديدها.

خطة البحث: وقد قسمته وفق الخطة التالية:

المقدمة.

تمهيد: فضل القرون الأولى.

المطلب الأول: مفهوم القرون المفضلة.

أولًا: مفهوم القرن في اللغة.

ثانيًا: مفهوم القرن في خطاب الشريعة.

ثالثًا: مفهوم القرن في أحاديث فضل القرون الأولى.

المطلب الثاني: تحديد القرون المفضلة.

أولًا: تحديد القرن باعتبار أهله.

ثانيًا: تحديد القرن باعتبار مقدار زمني ثابت.

ثالثًا: عدد القرون المفضلة.

الخاتمة: وتشتمل على النتائج والتوصيات.

تمهيد

سيناقش هذا البحث تحديد[1] القرون المفضَّلة من جهاتٍ مختلفة؛ من جهة مفهوم القرن في لغة العرب، ومن جهة مفهوم القرن في خطاب الشريعة وربطه بالمعنى اللغوي، وهل مفهومه: الأقران المشتركون في أمر يجمعهم؟ أو أن مفهومه مقدار معين من السنوات؟ وهل تحديده إنَّما يكون بجمهور أهله وأكثرهم؟ أم بأول شخص وآخر شخص؟ كما سيتم مناقشة عدد القرون وهل هي ثلاثة قرون أم أربعة؟

غير أن هذه الأسئلة لا يمكن الإجابة عنها إلا بعد تأصيل مقدمة أساسية تترتب عليها تلك المفاهيم والمحددات، وهي تثبيت فضل تلك القرون بخصوصها؛ إذ لو لم يكن لها فضل تمتاز به عن باقي الأمة فلن يكون هناك أي مصلحة شرعية من كشف مفهومها وتحديدها.

وقد ثبت فضل تلك القرون من جهات أهمها جهتان: نقلية وواقعية.

أولًا: النقلية:

وهي دلالة النصوص الشرعية على فضل الصحابة والتابعين وتابعيهم؛ إما بذكر فضلهم الذي امتازوا به عن الأمة، وإما بذكر فضل الصحابة وحدهم، وإما بذكر فضل السابقين الأولين من الصَّحابة، وإما بذكر فضل أفراد معينين كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.

---

(١) علما أنَّ الحد والتحديد الوارد في هذا البحث لا يقصد به الحد المنطقي، وإنَّما يقصد به الحد بمعناه اللغوي كما يقال: حدود الأرض، و يقال: حدود الله سبحانه، ويقال: حدود الدراسة، ونحو ذلك، فالدراسة هنا لا تسير على اصطلاح المنطق الأرسطي، وإنما تسير على ما بينه شيخ الاسلام ابن تيمية من أنَّ الحد إنما يقصد به التمييز لا تصوير حقيقة الشي، ينظر: الرد على المنطقيين لابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ) دار المعرفة، بيروت، لبنان، (١٠، ٣٩).

وبسبب أنَّ فضلهم مما أفردته الدراسات، وكثرت فيه الأبحاث، فسأقتصر على ذكر النصوص النقلية التي تخص القرون المفضلة بالقدر الذي يحقق التقديم بين يدي البحث، ومن ذلك: قوله تعالى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: ١٠٠]، فنصَّ على المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم[١]، إلَّا أنَّها مدحت السابقين دون شرط، بينما علقت فضل التابعين على شرط الإتباع بالإحسان، وقد سئل حميد بن زياد محمد بن كعب القرظي عن الصَّحابة، فقال القرظي بعد أن احتجَّ بهذه الآية: (أوجب لجميع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الجنة والرضوان، وشرَط على التابعين شرطًا لم يشترطه فيهم)، قيل: وما اشترط عليهم؟ قال: (اشترط عليهم أن يتبعوهم بإحسان، يقول: يقتدون بهم في أعمالهم الحسنة ولا يقتدون بهم في غير ذلك)، قال أبو صخر: (لكأني لم أقرأها قبل ذلك وما عرفت تفسيرها حتى قرأها علي محمد بن كعب)[٢].

قال صلى الله عليه وسلم: (يأتي على الناس زمان يغزو فئآمٌ من الناس فيقال لهم: فيكم من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئآم من الناس فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فيقولون: نعم، فيُفتح لهم)[٣]، قال النووي: (وفي هذا

(١) ينظر للأقوال: تفسير البغوي "معالم التنزيل"، تحقيق: محمد عبدالله النمر-عثمان ضميرية، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، (١١٤/٣)، والدر المنثور للسيوطي، دار الفكر-بيروت (٢٧٢/٤).

(٢) الدر المنثور للسيوطي (٢٧٢/٤).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب: من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب، رقم (٢٨٩٧).

الحديث معجزات لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وفضل الصحابة والتابعين وتابعيهم)[١].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيُّ الناس خير؟ قال: (قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تبدر شهادة أحدهم يمينه، وتبدر يمينه شهادته)[٢].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلم: (خير أمَّتي القرن الذي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم – والله أعلم أَذكر الثَّالث أم لا، – قال: ثمَّ يخلف قومٌ يحبون السمانة، ويشهدون قبل أن يُستشهدون)[٣].

وفي حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إنَّ خيركم قرني، ثمَّ الذين يلونهم، ثمَّ الذين يلونهم، ثمَّ الذين يلونهم) قال عمران: فلا أدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قرنه مرتين أو ثلاثة[٤].

---

(١) شرح النووي على مسلم "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج" للنووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية: ١٣٩٢م، (٨٣/١٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب: إذا قال أشهد بالله، أو شهدت بالله، رقم (٦٦٥٨)، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، رقم (٢٥٣٣).

(٣) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، رقم (٢٥٣٤).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب إثم من لا يفي بالنذر، رقم (٦٦٩٥)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، رقم (٢٥٣٥) واللفظ لمسلم.

وفي حديث أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: سأل رجل النَّبي صلى الله عليه وسلم: أيُّ الناس خير؟ قال: (القرن الذي أنا فيه، ثمَّ الثاني ثم الثالث)[1].

والنُّصوص في هذا كثيرة، وإنَّما اقتصرنا على ما يخص القرون الأولى.

ثانياً: الواقعية:

وهي أن واقعهم التطبيقي يدل على فضلهم وتميزهم عن باقي الأمة بحيث إنه لو لم يرد في فضلهم نص لكانت حياتهم الفاضلة دليلاً على علوهم وفضلهم.

وهذا يظهر من حيث النظر لما حققوه من عقيدة صافية، وإيمان راسخ، وعبادات عظيمة، وتشريعات عادلة، وأخلاق كريمة، وآداب سامية، ومقاصد نبيلة، فقد كانوا رجال دين ودنيا جمعوا أفضل الأقوال، وأزكى الأعمال، وأكمل الأحوال في كل جوانب الحياة.

ويؤكد هذا الواقع الجميل شهادات المخالفين؛ مع أن المخالفين سلموا بذلك لا بناءً على تسليمهم لنصوص الوحي فهم غير مؤمنين، وإنما لما ثبت عندهم من فضائل واقعية مشاهدة، يقول أرنولد واصفا الصحابة: (كان هؤلاء الرجال ورثة الأخلاق الحقيقية للنبي، دعاة المستقبل للإسلام...وفي اللحظات الأكثر صعوبة لحروب الفتح قدموا دليلًا رائعًا لا يمكن إنكاره على أنَّ الافكار وشريعة محمد قد زرعت في تربة مثمرة، وأنتجت مجموعة من الرجال على أعلى قيمة، كانوا مستودعًا لنص القرآن المقدس)[2].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب فضل الصحابة، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، رقم (٢٥٣٦).

(٢) الشهادات الغربية المنصفة للإسلام في العصر الحديث، لخديجة جومي (١٨٣ – ١٨٤)، بحث ماجستير مقدم لقسم العقيدة بجامعة أم القرى، لعام ١٤٣٠ ه.

المطلب الأول
مفهوم القرون المفضلة

يختص هذا المطلب بكشف مفهوم القرن في اللغة وفي خطاب الشـــريعة وفي أحاديث فضل القرون الأولى بخصوصها.

أولًا: مفهوم القرن في اللغة:

اتَّفق علماء اللسان العربي على أنَّ مادة القاف والراء والنُّون تجمع معنى الاقتران، يقول ابن فارس: (قرن: القاف والراء والنون أصلان صحيحان، أحدهما يدلُّ على جمع شيءٍ إلى شيء، والآخر شيءٌ ينتأ بقوة وبشدة)[1]، فحاصل هذا أنَّ القرن ممَّا يُلاحظ في استعمالاته معنى الاقتران والاجتماع على حال خاصة، وربَّما اقتصر على معنى القوَّة والشدة.

والعجيب أنَّ ابن فارس قال: (وممَّا شذَّ عن هذين البابين: القرن: الأمـــة من الناس، والجمع قرون، قال تعالى: {وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا} [الفرقان: ٣٨])[2]، مع أنَّ القرن الذي يعني الأمة فيه معنى الأصلين، إذ إنَّ الجماعة مـــن النـــاس لا يقال لهم قرنًا حتى يقترن بعضُهم ببعض فهم قرناء وأقران، كمـــا أن النـــاس إذا اتحدوا في أمر زادت قوَّتهم وشدتهم ممَّا يعني أن القرن لم يشذ عـــن المعنيـــين، فهو ظاهرٌ في أحدهما مستلزمٌ للآخر.

وكما اتَّفق أهل اللسان على أصل المعنى إلا أنَّهم اختلفوا في مفهوم القرن على قولين:

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، (٧٦/٥).

(٢) المصدر السابق (٧٧/٥).

القول الأول: أنَّ القرن إنَّما هو أهل عصرٍ من العصور، تقاربت أعمارُهم وأحوالهم دون أن يتمَّ تحديد قرنهم بمقدار ثابت من الزمن، قال الأزهري: (والذي يقع عندي – والله أعلم – أنَّ القرن أهل كل مدة...قلَّت السنون أو كثرت)[١].

القول الثاني: أنَّ القرن إنَّما هو زمان معين ومدة ثابته، قال الأزهري: (ثعلب عن ابن الأعرابي قال: القرن: الوقت من الزمان، فقال قوم: هو أربعون سنة، وقالوا: ثمانون سنة، وقالوا: مئة سنة، قال أبو العباس: وهو الاختيار؛ لأنه جاء في الخبر أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم مسح رأس غلام وقال: (عش قرناً) فعاش مئة سنة)[٢].

والظاهر أنَّ تحديده بمقدار معين من الأعوام والسنين ليس مما حدَّته اللغة وإنَّما حدده هؤلاء العلماء من علومٍ أخرى، ويؤيد هذا أمور؛ هي:

- أنَّ الذين حدَّدوا القرن بعددٍ من السنين لم يكن معتمدهم استعمالات العرب، وإنَّما اعتمدوا على الحديث الشَّريف الذي ورد في ذلك، ممَّا يعني أنَّ الكلام انتقل من بحث الحقيقة اللغوية إلى بحث الحقيقة الشرعيَّة رغم وجوده في كتب اللغة.
- لم ينقلوا من كلام العرب تحديدًا بالأعوام، وإنما استنبطوه استنباطًا وكثير منهم إنَّما ذكرها بصيغة التمريض: (قيل) التي لا تحرِّر مقدارًا، ولا يعتمد عليها في الجزم بمثل هذا.

(١) تهذيب اللغة للأزهري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م (٨٤/٩)، وينظر: لسان العرب لابن منظور، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤١٤هـ (٣٣٤/١٣).

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (٩٠/٩).

- أنَّ أحسن أحوال هذا التحديد أن يكون من باب الاستلزام عند من قرَّره، بمعنى أنَّ أهل الزمان المتقارب لا يمكن أن تقترن أعمارهم وتتقارب إلا في نحو هذه المقادير، قال القاضي عياض: (واختلف في القرن في اللغة، والمراد في مقداره من المدة اختلافًا كثيرًا، حكى الحربي فيه الاختلاف من عشرة إلى عشرين إلى المائة وعشرين، وقال بعد ذكره المقالات في ذلك كله: ليس منه شيءٌ واضح)[1].

ثانياً: مفهوم القرن في خطاب الشريعة:

كما اتفق اللغويون على أصل المعنى ثم اختلفوا في المفهوم فقد وقع مثل ذلك لعلماء الشريعة مع تباين تخصصاتهم من محدثين ومفسرين وفقهاء ونحوهم، إلا أن آرائهم جاءت أوسع تحريرًا ودرسًا.

القول الأول: القرن هو الجماعة من الناس المجتمعين في أحوال مشتركة:

ومقتضى هذا القول أنَّ القرن إنَّما يتحدد بالنَّظر إلى أهله، وهم الأقران الذين اجتمعوا في أمرٍ واحد استحقوا بمقتضاه أن يكونوا قرنًا تنظمهم خصائص معينة، تجمعهم من جهة وتعزلهم عن غيرهم من جهة أخرى، وهذه الخصائص هي اقترانهم في الأعمار، وفي مطلق الأحوال.

يقول البغوي: (والقرن: الجماعة من الناس، وجمعه قرون، وقيل القرن مدة من الزمان)[2]، فالبغوي أرجع المفهوم لأهله دون مقداره، ولم يتعرض للمدة إلا في صيغة التَّمريض.

(١) مشارق الأنوار للقاضي عياض، المكتبة العتيقة ودار التراث (١٧٩/٢).

(٢) معالم التنزيل للبغوي (١٢٨/٣).

وقال ابن الجوزي بعد أن ذكر الحديث وأنَّ المقصود به الصَّحابة والتابعون وتابعوهم: (فالقرن مقدار التوسط في أعمار أهل الزمان، فهو في كل قوم على مقدار أعمارهم)[١]

وأكده في كشف المشكل[٢]، ممَّا يقتضي أنَّ مقدار القرن بالزَّمن تابع لأعمار أهله، فيطول ويقصر تبعاً لطول أعمارهم أو قصرها.

وقال ابن كثير: (والقرن هو الأمة من الناس كقوله تعالى: {ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ} [المؤمنون: ٤٢] وحدَّه بعضهم بمائة وعشرين سنة... والأظهر أنَّ القرن هم الأمة المتعاصرون في الزمن الواحد، فإذا ذهبوا وخلفهم جيلٌ آخر فهم قرن ثانٍ)[٣].

وقال السيوطي: (القرن: أهل زمان واحد متقارب اشتركوا في أمرٍ من الأمور المقصودة، والأصح ألا يضبط بمدة، فقرنه – صلى الله عليه وسلم – هم الصحابة، وكانت مدتهم من المبعث إلى آخر من مات من الصحابة مائة وعشرين سنة، وقرن التابعين من سنة مائة إلى نحو سبعين، وقرن أتباع التابعين من ثم إلى حدود العشرين ومائتين)[٤].

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي، خرج آياته وأحاديثه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (٣ / ٦).

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن – الرياض (٢٩١/١).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (١١٢/٦).

(٤) التوشيح شرح الجامع الصحيح للسيوطي، تحقيق: رضوان جامع رضوان، مكتبة الرشد- الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م (٦ / ٢٣١٦)، في المطبوع: (والأصح: أنَّه يضبط بمدة) والكلام لا يستقيم مع باقيه، كما أن الذين نقلوا عن السيوطي نقلوه مستقيما،

والقرون المفضَّلة بهذا الاعتبار هم الصَّحابة والتَّابعون وتابعو التَّابعين دون التقيد بمقدار زمني ثابت.

القول الثاني: أن القرن مقدار زمني ثابت:

وقد رجَّحه بعض أهل العلم مستدلين بما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم، قال لعبدالله بن بسر رضي الله عنه: (يعيش هذا الغلام قرنًا)[1]، فعاش مئة عام، فاستدلوا أنَّ القرن مئة عام، وجاء عن الإمام أحمد أنَّه قال: (ليس في القرن ومقداره شيء أثبت من حديث عبد الله بن بسر -رضي الله عنه-، قال: (يعيش هذا الغلام قرنًا) قال: فعاش مائة سنة)[2].

كما استدلوا بأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم سئل: أنبي كان آدم؟ قال: (نعم مكلَّم) قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: (عشرة قرون)[3]، لكن جاء في بعض طرقه: (وبينهما عشرة آباء)[4]، ممَّا يعني أن هذا الحديث قرينة لا دليل، بسبب أنه محتمل الدلالة.

=ينظر: دليل الفالحين للصديقي الشافعي، اعتناء: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م (٤/٤٦٤)، لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح، لعبد الحق الدِّهلوي، تحقيق: تقي الدين الندوي، دار النوادر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م (٩/٥٨٥).

(١) سيأتي تخريجه – بمشيئة الله -عند مقارنة الاقوال في مقدار القرن بإذن الله.

(٢) السنَّة للخلال، تحقيق: عطية بن عتيق الزهراني، دار الراية – الرياض، الطبعة الثانية ١٩٩٤م. برقم (٧٧٤).

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه برقم (٦١٩٠)، وصحح إسناده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها برقم (٢٦٦٨)، وشعيب الأرنووط في أحكامه على ابن حبان.

(٤) رواه الطبراني في الأوسط برقم (٤٧٢١) وأبو الشيخ في العظمة (٥/١٥٩٣) وقال في مجمع الزوائد: (رواه الطبراني في الأوسط....وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف).

القول الثالث: أن القرن حقيقة فيهما جميعًا، ولا يدل على أحدهما إلا بقرينة:

ومقتضى هذا القول: أنَّ القرن حقيقة في الزمن وفي أهله ولا يدل على أحدهما إلا بقرينة، كلفظ الإنسان فإنه حقيقة في مجموع الروح والجسد وقد يطلق على الجسد وحده، وقد يطلق على الروح وحدها، فإذا قلت: جلس إليَّ إنسان وحدثني عن كذا وكذا، كان مقول على مجموع روحه وجسده، وإذا قلت: نريد كفنًا لهذا الإنسان الميت، كان المراد الجسد، وإذا قلت: الإنسان يعذَّب في قبره، كان المراد الروح، بينما الجسد قد رم وبلي، وهذا كغيره من الألفاظ التي تقال على مجموع أمور ولا تدل على بعضها إلا بقرينة(١).

وبناء على هذا القول فإن قوله في الحديث (خير الناس قرني) إنما يقصد الناس، وقوله في حديث عبدالله بن بسر (يعيش قرنا) إنما يقصد السنوات.

وهذا القول هو التحقيق لأنه مبني على مجموع الأدلة، وذلك أن كل قول من القولين السابقين له أدلة صحيحة فلا يجوز أخذ بعضها واطراح بعضها؛ لأن إعمال الأدلة كلها أولى من أخذ دليل واطراح الآخر؛ ولأن الجمع بين الأدلة مقدم على الترجيح إذا لم يكن للترجيح دليل يخصُّه، وذلك أن القرن جاء في مواضع مشيرًا إلى الناس المقترنين في حال معيَّنة، وجاء في حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه و غيره مشيرًا إلى مقدار زمني خاص، وكل ذلك صحيح، فوجب

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القران، للزركشي (٢/ ١٩٩ – ٢٠٤) وتجدر الإشارة إلى أن النعيم والعذاب في القبر على الروح والبدن معًا، مع بيان أنَّ الجسد قد يختلف حيث يشارك الروح في حال ولا يشاركها في حال، حتى إذا جاء يوم القيامة كان النعيم والعذاب على الروح والجسد جميعًا، ينظر: الفتاوى لابن تيمية (٤/٢٨٢-٢٩٩)، وينظر: الروح، لابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) تعليق: إبراهيم رمضان، دار الفكر العربي – بيروت، تاريخ الطبع: ١٩٩٦ م، (١/ ٨٠).

حمله على الجميع عند الإطلاق، وقد تفطَّن العلامة الزبيدي لهذا فقال: (والقــرن: زمن معين، أو أهل زمن معين مخصوص، واختار بعض أنه حقيقة فيهما)[1]، فهو بهذا مقول على الأمرين باعتبار التواطوء.

ثالثاً: مفهوم القرن في حديث (خير القرون قرني):

ترجح أن القرن يطلق على الجماعة من الناس ويطلق على مقدار زمنــي محدد، وأنه إنما يدل على أحدهما بقرينة، فهل معناه في أحاديث خيــر القــرون قرني عام بحيث يصح فيه المعنيان معًا؟ أم أنه لا يدل إلا على أحدهما؟

التحقيق أنه في أحاديث القرون المفضلة إنَّما يراد به أهل تلك القــرون لا مقدارٌ زمني ثابت وهذا للاعتبارات التالية:

- أنّه قال في الحديث: (قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلــونهم، ثــم الذين يلونهم) ويوافقه سائر الأحاديث، إنما هي إشارة إلــى النَّــاس قطعًا حيث أنَّه عليه السلام إنما يمدح أجيالًا معينين لا مطلق الزمن.
- أن هذا موافق لاستعمال القرآن الكريم، إذ أن القرآن إنَّما يشير إلى أهل زمن معيَّن كما قال تعالى: {أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِــنْ قَــرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ} [الأنعام: ٦]، وقال تعالى: {وَكَــمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا} [مريم: ٧٤]، وقال تعالى: {ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ} [المؤمنون: ٤٢]، وقال تعــالى: {وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ} [القصص: ٤٥].
- إنَّ مدح هذه القرون لم يكن لفضل الزمان بمجرده كمــا فــي مــدح رمضان وعرفة ويوم الجمعة، وإنَّما جاء المدح للخير الحاصل في تلك الحقب، والخير الذي حصل من العلم النَّافع والعمل الصالح إنما قــام

(١) تاج العروس للزبيدي، تحقيق: مجموعة محققين، دار الهداية (٣٥/٥٣٠).

بأهل تلك الأزمان وليس لمجرد الزمان، فهم السبب في فضل تلك الأزمان.

- إنَّ النصوص الأخرى التي وردت في فضل الصحابة والتابعين وتابعيهم تشهد لهذا المعنى، وهي نصوص إنما سيقت لمدح الناس لا لمجرد ذكر الزمن، فمن ذلك قوله تعالى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: ١٠٠]، وهي صريحة في مدح الصحابة والتَّابعين لهم بإحسان.
- إنَّ صحة حديث عبد الله بن بسر عندما قال عليه السلام: (يعيش هذا الغلام قرنًا) لايقدح في أنَّ المراد بالقرون المفضلة أهلها؛ بسبب أنَّ هذا الحديث إنما جاء للمقدار الزمني، وقد سبق بيان أنَّ القرن يدل على أحد معنييه بقرينة، ممَّا يعني أنَّ أحاديث القرون المفضلة محمولة على أهلها، وهذا الحديث محمول على عددٍ السنوات، وحملها هناك حملٌ صحيح للقرائن السابقة، وحمل هذا الحديث على المدة المحددة حملٌ صحيح لأن سياقه إنما جاء لذلك.

ومن هنا يظهر أنَّ تحديد القرن في حديث عبدالله بن بسر لا يقدح في تحديده في أحاديث القرون المفضَّلة؛ لأنه هنا لمعنى وهناك لمعنى آخر.

- أنَّ العلماء الذين حدَّدوا القرون باعتبار أهلها لم يتعرضوا لحديث عبد الله بن بسر ولا يلزمهم التعرض له؛ لأنّهم إنَّما كانوا يحددون القرن في موضع معين وهو معناه في أحاديث القرون المفضلة وليس معناه المطلق العام وفرق بين من ينفي معنى السنوات في موضع

مخصوص هو أحاديث فضل القرون الأولى وبين من ينفي هذا المعنى مطلقا في كل استعمال، فالأول هو مسلك العلماء الذين سبق النقل عنهم، والثاني لم أقف على من نفاه.

المطلب الثاني

تحديد ابتداء القرن وانتهائه

يترتب على مفهوم القرن تحديده من حيث الابتداء والانتهاء، ولما كان في مفهومه قولان فقد حدده كل عالم بناء على المفهوم الذي اختاره، فمن فسره باعتبار أهله حدده بناء على ذلك، ومن فسره باعتبار إنه مدة خاصة فقد حدده بمقادير ثابته.

أولًا: مفهومه باعتبار أهله:

افترق الذين فسروا القرن باعتبار أنه الجماعة من الناس على ضابطين، فهل يتحدد القرن باعتبار جمهوره وأكثر أهله؟ أم أن بدايته باعتبار أول شخص فيه وانتهاؤه باعتبار وفاة أخر شخص من أفراده؟ ممَّا يتطلب ذكر الضابطين والمقارنة بينهما:

الضابط الأول: جمهور أهله وأكثرهم:

فإذا اتَّفق أهل زمن في حال واشتركوا فيه فإنَّ القرن قرنهم، والعصر منسوب إليهم؛ بشرط أن يكونوا أكثر أهله المؤثِّرين فيه، وعلى هذا فقرن الصحابة هو الذي كانوا فيه أهل الكثرة و التأثير، وقرن التابعين كذلك، وقرن تابعي التابعين كذلك، وإلى هذا ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: (فإنَّ الاعتبار في القرون الثلاثة بجمهور أهل القرن – وهم وسطه– وجمهور الصحابة انقرضوا بانقراض خلافة الخلفاء الأربعة حتى إنَّه لم يكن بقي من أهل بدر إلا نفرٌ

قليل، وجمهور التابعين بإحسان انقرضوا في أواخر عصر أصاغر الصَّحابة في إمارة ابن الزبير وعبد الملك، وجمهور تابعي التابعين انقرضوا في أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية) [١]، فقد ضبط شيخ الإسلام مفهوم القرن بأهله لا بمقداره من السَّنوات، ثم زاد في تحديده حين علق حدوده بجمهورهم وأكثرهم لا بمطلق آحادهم، يقول ابن عثيمين موضحًا رأي شيخ الإسلام ومنتصرا له: (فمتى يكون قرن الصحابة ثم التابعين ثم تابعيهم؟ يقول شيخ الإسلام: القرن معتبرٌ بأكثر أهله، فإذا كان أكثر الموجودين من الصحابة فهذا قرن الرسول صلى الله عليه وسلم، وإن كانوا أقل وأكثره من التابعين فهذا قرن التابعين، وإذا كان انقرض أكثرهم وبقيت قلة مع تابعي التابعين فهذا قرن تابعي التابعين وعلى هذا فالقرن والعصر على حد سواء وهذا أقرب...إذ ينقرض القرن بموت أكثرهم)[٢].

ولما تفطن بعض أهل العلم إلى أن الأقران الكثيرين بحيث إنهم هم أهل الزمان لا يمكن أن يكونوا هملًا بل لابد أن يكون لهم رئيس يجمعهم؛ جعل من شرط القرن أن يكون لأهله رئيس يجتمعون عليه، فإنه لا يمكن أن يكونوا جمهورا قويا إلا إذا انضموا تحت لواء سياسي يحفظ لهم قوتهم وتأثيرهم، يقول الأزهري: (والذي يقع عندي -والله أعلم- أنَّ القرن أهل كل مدَّة كان فيها نبيٌّ، أو كان فيها طبقة من أهل العلم؛ قلَّت السنون أو كثرت)[٣].

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية، تحقيق: ابن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م(٣٥٧/١٠).

(٢) فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، لابن عثيمين، تحقيق: صبحي بن محمد رمضان، وأم إسراء بنت عرفة، المكتبة الإسلامية للنشر، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م (١٧٧/٦).

(٣) تهذيب اللغة للأزهري (٨٤/٩).

ويبدو أنَّ العلماء عند نقلهم لهذا الرأي إنَّما نقلوه[١] عن الأزهري، يقول الحافظ: (والقرن أهل زمان واحد متقارب...ويقال أنَّ ذلك مخصوص بما إذا اجتمعوا في زمن نبيٍّ أو رئيس يجمعهم على ملَّة أو مذهبٍ أو عمل)[٢].

ولما كان جمهور القرن لا يمكن التأكد منهم بيقين؛ حيث إن أفراده يأخذون في الزيادة واحدا واحدا حتي يشكلون أغلب أهل العصر ثم يأخذون في الانقراض واحدا واحدا، فإن هذا الضابط لا يحقق مقدرته العلمية إلا اذا روعي في إيضاحه أن للقرن ابتداء وكمال؛ فمبتدؤه أن يجتمع جمهور أهله على حالٍ خاص، كاجتماع الصَّحابة رضي الله عنهم في صفة الصُّحبة، وكماله أن يكون لهم شوكة وقوَّة ومنعة تحت رئيس وإمام يسوسهم، وهذا التقرير بناء على التلازم الضروري بين اجتماع الناس ونصب رئيس لهم، حيث يلزم من اجتماع الجم الغفير نصب رئيس يجمعهم[٣].

وحينها فبداية قرن الصحابة إنما كان مع البعثة، وكمال قرنهم كان مع الهجرة حين كان لهم دولة وشوكة ومنعة تحت الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم انتهي كماله – بحسب ابن تيمية – مع خلافة علي رضي الله عنه، وانقرض

---

(١) حيث يعبرون بعبارة الأزهري نفسها، ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (١٠/٢)، وفتح الباري لابن حجر، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ، ترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي، إخراج: محب الدين بن الخطيب، تعليق: ابن باز (٥/٧)، عمدة القاري للعيني، دار إحياء التراث العربي – بيروت (٢١٣/١٣)، و سبل السلام للصنعاني، دار الحديث، بدون تاريخ، (٥٨٠/٢).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٥/٧).

(٣) هذا المعنى من جنس الخلاف في مفهوم الجماعة التي أمر النَّبي صلى الله عليه وسلم بلزومها، وهل الاعتبار فيها بلزوم السُّنة فقط؟ أم بلزوم السنة تحت قيادة إمام يجمع الناس؟

إلا من بقايا يسيرة مع خلافة يزيد أو نحوها، وأما من بقي من الصحابة بعد هذا التاريخ فقد كانوا في قرن التابعين؛ ولهذا قال ابن عثيمين كما في النص السابق وهو يشرح هذا الضابط: (وإن كانوا أقل – يعني الصحابة – وأكثره من التابعين فهذا قرن التابعين).

ويضاف إلى بيان هذا الضابط: أنه مناسب للأصول التي يرجع إليها الجذر اللغوي لمادة (قرن) وهي أصلان: الاقتران في حال مخصوص، والقوة والتأثير، وتتم قوته بالرئيس؛ حيث إنه كقرن الكبش الذي فيه قوته ومنعته.

الضابط الثاني: باعتبار أولهم وآخرهم:

ويختلف هذا الضابط عن السابق بأنَّ السابق إنما يحدد القرن بجمهور أهله، بينما يكون التحديد في هذا الضابط بأول واحد فيهم وينتهي بوفاة آخر شخص من أهله.

يقول الحافظ ابن حجر: (وقد ظهر أنَّ الذي بين البعثة وآخر من مات من الصحابة مائة سنة وعشرون سنة أو دونها أو فوقها بقليل على الاختلاف في وفاة أبي الطفيل، وإن اعتبر ذلك من بعد وفاته صلى الله عليه وسلم يكون مائة سنة، أو تسعين، أو سبعًا وتسعين، وأما قرن التابعين فإن اعتبر من سنة مائة كان نحو سبعين أو ثمانين، وأما الذي بعدهم فإن اعتبر منها كان نحوًا من خمسين، فظهر بذلك أن مدة القرن تختلف باختلاف أعمار أهل كل زمان والله أعلم، واتفقوا أنَّ آخر من كان من اتباع التابعين ممن يقبل قوله من عاش إلى حدود العشرين ومائتين)[1]، فالحافظ –هنا– جعل كل قرن مختلفًا في مقدار مدته عن القرن الذي يليه؛ لأنَّه ربط مفهومه بأهله لا بمقدار زمني ثابت، لكنه لم يحدده بناء على جمهوره وإنما حدده بضابط آخر وهو بأولهم و آخرهم، فقرن

(١) فتح الباري لابن حجر (٦/٧).

الصحابة من البعثة و انتهاءه بوفاة آخر صحابي، و قرن التابعين من موت آخر صحابي إلى موت آخر تابعي، و قرن تابع التابعين من موت آخر تابعي إلى موت آخر رجل من أتباع التابعين، وبسبب أن الاعتبار انما هو بأهل القرن لا بمدة ثابته تفاوتت مقادير القرون الثلاثة، فجعل قرن الصحابة مائة عام، وقرن التابعين سبعين أو ثمانين، وقرن تابع التابعين خمسين عامًا.

ولإيضاح هذا الضابط لابد من تحديد البداية والنهاية:

١- بداية القرون المفضلة:

إذا أخذنا بهذا الضابط، فهل قرن النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضي الله عنهم يبدأ من ولادته الشريفة؟ أم من بعثته المباركة؟ أم من هجرته المنصورة؟

أما اعتبار قرن الصحابة من ولادته فلم أجده إلا فيما رواه ابن أبي حاتم في تفسيره عن زرارة بن أوفى، وفيها قوله: (القرن عشرون ومائة، بعث النبي صلى الله عليه وسلم في قرن كان آخرهم يزيد بن معاوية)(١)، ومع أن هذه الرواية لم تصرح بأن بدايته من ولادته صلى الله عليه وسلم إلا أن مئة وعشرون قبل عام الأربعة وستين الذي توفي فيه يزيد لا توافق إلا وقت ولادته على وجه التقريب.

إلا أنَّ جعل بداية قرن الصحابة من ولادة النبي صلى الله عليه وسلم ليس بقوي لهذه الاعتبارات:

- أن هذه الرواية فيها نكارة؛ لأن احتساب القرن من ولادة النبي عليه السلام مخالف للواقع، فإنه بقي عليه السلام نحو أربعين عامًا ولم

(١) تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة: ١٤١٩هـ (٨/ ٢٦٩٦).

يجمع الناس حيث إنه لم يبعث بعد، كما أن بدايته ونهايته لا تسير وفق ضابط مطرد؛ فالبداية من ولادته والنهاية من وفاة يزيد الذي لا صلة له بالصحابة.

- أنه حدد بدايته بولادة الرسول صلى الله عليه وسلم فوجب أن يحدد نهايته بوفاة آخر صحابي لكي يكون التحديد منضبطا بذكر ولادة أول شخص في القرن ونهايته بوفاة آخر شخص منهم، ولو تم هذا لكان قرن الصحابة نحو مئة وخمسين عام ولا قائل به.
- أنه مخالف لسنن الشريعة التي لم تعلق أحكاما شرعية على مجرد ولادته صلى الله عليه وسلم، إذ أن الشريعة إنما تؤسس أحكامها على نبوته لا على ولادته، كما أن التعلق بالولادة ليس من طريق أهل السنة وإنما هو من طريق أهل البدع.
- أن اعتبار القرن من ولادته الشريفة مخالف لما سبق تقريره من أن القرن إنما يعتبر بأهله المجتمعين على صفة وحال تجمعهم، حيث أن من ولادته إلى البعثة لم يكن جمع الناس حوله ولا تشكَّل الاقتران المطلوب.

فلم يبق إلا اعتبار قرن الصحابة من بعثته، أو من هجرته، ولم أجد من نص على جعل ابتداءه من الهجرة، مع أن وقت الهجرة كان قرن الصحابة قد تم اكتماله حيث تحول إلى دولة إسلامية لها كيانها السياسي القوي، كما أن اجتماع الصحابة واقترانهم على عقيدة تخصُّهم، وأحوالٍ تجمعهم كان قد تمَّ قبل ذلك.

والذي يظهر أن بداية قرن النبي صلى الله عليه وسلم والصَّحابة إنما بدأ من البعثة، وتم في الهجرة، وهذا لما يلي:

- أن القرن لا يسمى قرنًا إلا إذا تشكَّل كيانه، بكون المجتمع على صفة وحالٍ تجمع أهله، وهذا لم يبدأ إلا من حيث البعثة الشريفة، حيث أخذ عليه الصلاة والسلام في جمع الناس، وأخذ الناس في الدخول في الدين واحدًا واحدًا مشكِّلين اللبنات الأساسية للقرن الصحابي الكريم.
- أن أهل العلم نصُّوا على اعتباره من البعثة، قال الحافظ ابن حجر: (والمراد بقرن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث: الصحابة، وقد سبق في صفة النبي صلى الله عليه وسلم قوله: (وبعثت في خير قرون بني آدم)، وفي رواية بريدة عند أحمد: (خير هذه الأمة القرن الذين بعثت فيهم)، وقد ظهر أنَّ الذي بين البعثة وآخر من مات من الصحابة مائة سنة وعشرون سنة أو دونها أو فوقها بقليل)[1]، فالحافظ إنما اعتبر عصرهم من البعثة.
- أن النصوص الشريفة -وهذ أهم الأدلة- حددت القرن من البعثة؛ حيث إنه عليه الصلاة والسلام عندما تكلم عن قرنه ربطه ببعثته، وقد ورد ذلك في نصوص كثيرة من أصرحها قوله في رواية مسلم: (خير أمتي القرن الذين بعثت فيهم)[2]، فقوله بعثت فيهم وتكرار وصف البعثة في كل الأحاديث إنما يؤكد أن بدايته كانت من البعثة.

غير أن تحديد ابتداء قرن الصحابة ببعثته لا يلغي أمر الهجرة باعتبارها بداية الكمال و التمام، وذلك بسبب أن القرن ليس أمرًا ماديًّا يمكن تحديد ابتدائه عند ساعة محددة، وإنما هو مجموعة أناسٍ يقترنون في أحوالٍ واحدة، ومعلوم أنهم لا يقترنون في سنة واحدة حتى يقال إن سنة البعثة بعينها هي الفصل

(١) فتح الباري لابن حجر (٧/ ٥- ٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٣٥)، وقد سبق تخريجه.

الحاسم، وإنما أخذوا يدخلون في الدين واحدًا واحدًا على سنوات متتالية حتى تواتروا أفواجًا، وحينها انتقلوا من تجمع مستضعف إلى كيانٍ قوي، وواقعهم هذا يقضي أن بداية القرن الأول كان مع البعثة ثم اكتمل واشتدَّ مع الهجرة، وبقي كذلك إلى آخر خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم أخذ في الانقراض إلى أن بقي منه أفراد قلائل في نهاية عهد يزيد.

٢- نهاية القرون المفضلة:

وأما النهاية بناء على هذا الضابط فتكون بوفاة آخر رجل من أفراد القرن، فإن آخر الصحابة وفاةً هو أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني رضي الله عنه حيث توفي عام ١٠٠ أو عام ١١٠ من الهجرة، ولهذا جعل الحافظ ابن حجر قرن الصحابة مئة عام بناءً على هذا. ومع أنه لم يصرح بوفاة آخر التابعين لكنَّه قال: (وأما قرن التابعين فإن اعتبر من سنة مئة كان سبعين أو ثمانين)، وهذا مطابق لوفاة آخر التابعين وهو خلف بن خليفة المتوفى عام ١٨٠ أو نحوها، وذلك أنَّنا إذا زدنا سبعين أو ثمانين على وفاة آخر صحابي طابقت وفاة آخر تابعي، فإن كان أبو الطفيل مات سنة (١٠٠) فقرن التابعين ثمانين عامًا، وإن كانت وفاته عام (١١٠) فقرن التابعين سبعين عامًا، فهذا مقصود الحافظ عندما تردَّد وقال: سبعين أو ثمانين؛ لأن تردده تبعًا للخلاف في وفاة أبي الطفيل – رضي الله عنه–، ثم نصَّ على أن آخر تابعي التابعين كان عند العشرين والمائتين(١).

(١) التحقيق أن آخر أتباع التابعين إنما هو الحسن بن عرفة العبدي، وقد توفي عام ٢٥٧ هـ، ينظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة–بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠ه (٦ / ٢٠١ – ٢٠٦).

الفرق بين الضابطين:

يظهر الفرق بين الضابطين في أزمنة الالتقاء بين القرون من جهات:

- **أن الأجيال تتداخل بحيث يأخذ أفراد القرن السابق في الانقراض بينما يأخذ أفراد القرن التالي في التزايد، فإذا مات عدد من هؤلاء ولد عدد من أولئك، فلا يمكن إيجاد حد فاصل على وجه الدقَّة ينفصل فيه هؤلاء عن هؤلاء، وهذه الحقيقة تقوي الضابط الأول الذي يقرب الحدود تقريبا باعتبار الجمهور ويضعف الضابط الثاني الذي يروم القطع في موضع لا يتأتى فيه القطع.**
- **يرد على الضابط الثاني أنه وضح بداية القرون الثلاثة ونهايتها ظاهرًا؛ لكنه لم يحدد بداية كل قرن بحد مطرد حيث حدد بداية قرن التابعين بموت آخر صحابي، والأولى أن يحدده بأول تابعي، وحدد بداية قرن أتباع التابعين بوفاة آخر تابعي وحقه أن يحدده بأول واحد فيهم.**
- **أن الحافظ ابن حجر هو أكثر المحررين للضابط الثاني قرر ما يناقضه في بعض كتبه الأخرى،**

فبينما يقرر في هذا الضابط أن قرن التابعين يبدأ من عام المئة، نجده يقرر أن كبار التابعين انقرضوا قبل المئة، فقد قال في مقدمة التقريب وهو يتكلم عن الطبقات حيث جعل الأولى الصحابة والثانية كبار التابعين فقال: (الثانية طبقة كبار التابعين كابن المسيب.... وذكرت وفاة من عرفت وفاته منهم، فإن كان من الأولى والثانية فهم قبل المئة)[1]، وهذا يعني أن أهم التابعين وكبارهم ماتوا قبل

---

(١) تقريب التهذيب لابن حجر (المتوفى: ٨٥٢هـ) المحقق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ – ١٩٨٦، (٨١ – ٨٢).

عصرهم، وهذا يؤكد أن تحديد القرن بعام معين ليس بدقيق كما يؤكد طبيعة تداخل القرون.

أما إذا أخذنا الضابطين باعتبار أنهما تقريبيان بسبب طبيعة تداخل القرون فيمكن المقارنة بينهما بناء على هذا الجدول:

وهذا جدول يوضح التاريخ الهجري لانتهاء كل قرن باعتبار كل ضابط:

القرن	عند شيخ الإسلام	عند الحافظ
الصحابة	البعثة إلى عام ٤٠	البعثة إلى١٠٠ أو ١١٠
التابعون	من ٤٠ إلى عام ٧٠ أو٨٠	من ١٠٠ إلى عام ١٨٠
أتباع التابعين	من ٧٠ إلى ١٣٠ أو ١٣٥	إلى عام ٢٢٠

وبناءً على هذا فإنَّ الفارق في نهاية القرون المفضلة يصل إلى نحو ٨٠ سنة إلا أنَّنا سنجد أنَّ هذا الفارق لا يؤثر في المحصلة النهائية؛ لأنَّ ابن تيمية يصحح الرواية التي تجعل القرون أربعة لا ثلاثة، بينما يضعِّفها الحافظ ابن حجر، وحينها فالقرن الرابع يسد الفارق الكبير لتنتهي القرون المفضلة مجموعها حوالي ٢٢٠ أو بعدها بقليل أو نحو ذلك.

فلمَّا قرر شيخ الإسلام أنَّ القرن من حيث المفهوم إنَّما هو جمهور أهله لا وفاة آخر شخص منهم، قلَّ طول القرن عنده فوقفت القرون الثلاثة عنده إلى نحو عام ١٣٥هجرية تقريبًا، فلما صحَّح القرن الرابع توسعت المدة، ولا يمكن أن تقل عن ٧٠ عامًا، فامتدت قرون الفضل إلى عام ٢١٠ تقريبًا، فإنه قال: (وقد حكى الأوزاعي وهو أحد الأئمة الأربعة في عصر تابع التابعين الذين هم: مالك (ت:

١٧٩هـ) إمام أهل الحجاز، والأوزاعي (ت: ١٥٧هـ) إمام أهل الشام، والليث (ت:١٧٥ هـ) إمام أهل مصر، والثوري (ت:١٦١ هـ) إمام أهل العراق)[١].

فإنه صدَّر عصر تابع التابعين بذكر كبارهم ممَّا يعني أنهم وأقرانهم من أهل الفضل هم قرن أتباع التابعين، فإذا أضاف القرن الرابع فربَّما وصل إلى المئتين والعشرين أو نحوها.

وإذا رجعنا للحافظ ابن حجر وأنَّه جعل القرون المفضلة وجدناه نصَّ على انتهائها عند عام ٢٢٠هـ فقال: (واتفقوا أنَّ آخر من كان من أتباع التابعين ممَّن يقبل قوله من عاش إلى حدود العشرين والمئتين)[٢]، فمن جعل القرن الرابع من قرون الفضل امتدت به المدة إلى قريب من قول من قصر القرون على مجرد الثلاثة مع اعتبارها بوفاة آخر شخص من أهلها، ممَّا يعني أن الخلاف في عدد القرون لا يؤثر من حيث الواقع في تحديد المدَّة.

إن عدم القطع بعام معين في ابتداء القرن وانتهائه لا يضعف الضابط؛ بل القطع هو الذي يضعف الضابط لأنه قطع في موضع الظن، فيكون من جنس الكلام بلا علم، هذا من جهة، كما أن طبيعة تداخل الأجيال حيث يولد قوم وينقرض آخرون يمنع القطع واليقين، ويحتم الرجحان والمقاربة من جهة أخرى.

وإذا كانت العلوم الطبيعية المبنية على القوانين تجعل في بعض المعادلات والصيغ القانونية ما يعرف بمعامل الخطأ وهو معامل تقريبي، فإن العلوم

(١) مجموع الفتاوى (٣٩/٥).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٦/٧).

الإنسانية أولى بالتقريب؛ لأن من طبيعتها عدم الحسم[١] في موطن الظن.

ثانياً: تحديد القرن باعتبار مقدار زمني ثابت:

يذهب أصحاب هذا القول إلى أنَّ تحديد القرن لا يكون باعتبار أهله، فإن طالت أعمارهم طال القرن، وإن قصرت أعمارهم قصر القرن، وإنَّما يكون تحديده باعتبار مقدارٍ ثابت من السنوات، ولابد من استقراء الأقوال أولًا ثم دراستها والترجيح بينها ثانيًا.

أ-المقدار الزمني للقرن:

اختلف أهل العلم في مقدار القرن بالسنوات على أقوال هي:

(١٠) سنوات، حكاه الحربي[٢] وابن منظور[٣] والفيروزآبادي[٤] دون عزوه إلى معين، وهذا أقل مقدار وقفت عليه في تحديد القرن.

(٢٠) سنة، وقد روي عن الحسن البصري[٥]، وحكاه الحربي[٦] وابن منظور[٧] والفيروزآبادي[٨] دون عزوه لمعين.

---

(١) ينظر: أصول البحث العلمي ومناهجه لأحمد بدر، دار المعارف، الطبعة الخامسة ١٩٨٩م (ص: ٢٤٩)، وأساسيات البحث العلمي لمنذر الضامن، دار المسيرة للنشر والتوزيع- الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٧ه (ص: ٢١).

(٢) مشارق الأنوار للقاضي عياض (١٧٩/٢).

(٣) لسان العرب لابن منظور (٣٣٣/١٣).

(٤) القاموس المحيط للفيروزآبادي، تحقيق: مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي – بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م (١٢٢٣/١).

(٥) تفسير ابن أبي حاتم (٢٦٩٦/٨)، وتفسير ابن الجوزي (١٠/٢).

(٦) مشارق الأنوار لعياض (١٧٩/٢).

(٧) لسان العرب (٣٣٣/١٣).

(٨) القاموس للفيروزآبادي (١٢٢٣/١).

(٣٠) سنة، حكاه الجوهري[١] وابن منظور[٢] والفيروزآبادي[٣] والرازي في مختار الصحاح[٤].

(٤٠) سنة، رواه محمد بن سيرين مرسلًا في حديث[٥]، ورواه الحكم عن إبراهيم[٦]، وحكاه ثعلب[٧] والفيروزآبادي[٨] كلاهما دون تعيين قائله.

(٥٠) سنة، جاء في حديث مرسل[٩]، وحكاه الفيروزآبادي دون تعيين قائله[١٠].

(٦٠) سنة، روي عن الحسن البصري قال: (القرن ستون سنة)[١١]، وحكاه ابن منظور[١٢] والفيروزآبادي[١٣] دون تعيين قائله.

---

(١) الصحاح للجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة: ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م (٢١٨٠/٦).

(٢) لسان العرب لابن منظور (٣٣٣/١٣).

(٣) القاموس للفيروزآبادي (١٢٢٣/١).

(٤) مختار الصحاح للرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة الخامسة: ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م (ص: ٢٥٢).

(٥) تفسير ابن جرير الطبري (٥٣٤/١٤).

(٦) تفسير ابن أبي حاتم (٢٦٩٦/٨).

(٧) تهذيب اللغة الأزهري (٩٠/٩).

(٨) القاموس (١٢٢٣/١).

(٩) الدر المنثور للسيوطي (٢٥٩/٦).

(١٠) القاموس (١٢٢٣/١).

(١١) تفسير ابن أبي حاتم (٢٦٩٦/٨)، والدر المنثور للسيوطي (٢٥٩/٦).

(١٢) لسان العرب (٣٣٣/١٣).

(١٣) القاموس (١٢٢٣/١).

(٧٠) سنة، روي عن قتادة[١]، وعبيدالله بن أبي رافع[٢]، والفراء[٣]، وحكاه الأزهري دون تعيين قائله[٤]، واختاره العسكري في الفروق[٥]، وحكاه ابن منظور[٦] والفيروزآبادي[٧] والصاغاني[٨] في التكملة والذيل.

(٨٠) سنة، روي عن ابن عباس رضي الله عنه من رواية أبي صالح[٩]، وحكاه ثعلب[١٠] ونقله ابن قتيبة عن أبي عبيدة[١١] وابن منظور ومال إليه[١٢].

(٩٠) لم أقف على حكايته.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٢٦٩٦/٨)، والدر المنثور للسيوطي (٢٥٨/٦).
(٢) تفسير ابن جرير (٤٥٥/١٧).
(٣) تفسير ابن الجوزي (١٠/٢).
(٤) تهذيب اللغة للأزهري (٩٠/٩).
(٥) الفروق للعسكري (٢٧٩/١).
(٦) لسان العرب (٣٣٣/١٣).
(٧) القاموس (١٢٢٣/١).
(٨) التكملة والذيل والصلة للصاغاني، تحقيق: عبدالعليم الطحاوي وآخرون، مطبعة دار الكتب – القاهرة، (٢٨٩/٦).
(٩) تفسير ابن الجوزي (٩/٢).
(١٠) تهذيب اللغة للأزهري (٨٤/٩).
(١١) غريب القرآن لابن قتيبة، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م (١٥٠/١).
(١٢) لسان العرب (٣٣٣/١٣).

(١٠٠) سنة، اختاره أبو سلمة[١]، ومحمد بن القاسم[٢]، واختاره ثعلب[٣]، والفيروزآبادي[٤]، وابن عطية[٥]، والخازن وقال: (وهو الأصح)[٦]، واستدلَّ من اختاره بأدلة ستأتي في تحليل هذه المقادير الزمانية بإذن الله تعالى.

(١١٠) لم أقف على حكايته.

(١٢٠) سنة، حكاه زرارة بن أوفى[٧] والحربي[٨] والفيروزآبادي[٩].

ب - الراجح من المقادير:

عند دراسة هذه المقادير الزمانية وتأمل أدلتها يظهر ما يلي:

يظهر أنَّ أقل مقدار هو عشر سنوات، وأكثر مقدار هو ١٢٠ عامًا، وهذا يشي بعدم الالتفات إلى مقادير القرون الغابرة كقوم نوح -عليه السلام- ونحوهم،

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٢٦٩٥/٨)، وتفسير ابن الجوزي (١٠/٢)، والدر المنثور (٢٥٨/٦).

(٢) تفسير ابن جرير (٥٣٤/١٤)، والدر المنثور (٢٥٨/٦).

(٣) تهذيب اللغة للأزهري (٨٤/٩).

(٤) القاموس للفيروزآبادي (١٢٢٣/١). مع أن عبارته موهمة في اختياره كما ذكر الزبيدي (٥٣٠/٣٥-٥٣١).

(٥) المحرر الوجيز لابن عطية (٢/ ٢٦٨).

(٦) لباب التأويل للخازن، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ (٩٩/٢).

(٧) تفسير أبي حاتم (٢٦٩٦/٨)، وابن جرير (٥٣٥/١٤)، وابن الجوزي (١٠/٢) والدر المنثور (٢٥٨/٦).

(٨) مشارق الأنوار للقاضي عياض (١٧٩/٢).

(٩) القاموس (١٢٢٣/١).

فإمَّا أنه مقدار ثابت يشمل الأزمان جميعا، وإمَّا أنه خاص بلغة العرب ومعهودهم زمن البعثة، ولا دليل على شيء من ذلك.

كما أنَّ مقدار التسعين ومقدار المئة والعشرة (٩٠، ١١٠) لم أقف على من حكاه ولو بصيغة التَّمريض، ممَّا يؤكد صحة استقراء الحافظ ابن حجر عندما قال: (لكن لم أر من صرح بالتسعين ولا بمائة وعشرة، وما عدا ذلك فقد قال به قائل)[١].

كما أنَّ هذه المقادير لا تستوي في قوتها؛ لا من جهة دليلها، ولا من جهة قوَّة ناقلها ومكانته، وإنَّما تتفاوت ما بين قولٍ مرسل لم يعين قائله، إلى قول معروف القائل مدعومٍ بحجة ضعيفة.

وأقوى الأقوال أنَّ القرن زمنيا مئة عام، وقد استدل على صحته بما يلي:

- أنَّه اختيار أكثر علماء اللغة، حيث حكوا المقادير السابقة دون تعيينٍ لقائلها ولا لدليله، ثمَّ اختاروا هذا المقدار بخصوصه، ولهذا اختاره ثعلب والفيروزآبادي وغيرهم، ولا شكَّ في اعتبار ما فهمه أهل اللغة لعلمهم الخاص بمرامي كلام العرب ومرادهم.
- رجَّحه بعض أهل العلم مستدلين بما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم، قال لعبدالله بن بسر رضي الله عنه: (يعيش هذا الغلام قرنًا)[٢] فعاش مئة عام، فاستدلوا أنَّ القرن مئة عام، وجاء عن الإمام

(١) فتح الباري لابن حجر (٥/٧) علما أن في النص (بالسبعين) والسياق يأبى هذا، فلعله تصحيف بصر من التسعين لأن صورتهما في الخط واحدة.

(٢) رواه أحمد في المسند برقم (١٧٦٨٩)، وقال شعيب الأرنؤوط: (إسناده حسن)، والبخاري في التاريخ الأوسط برقم (٨٦٨) وابن جرير الطبري في تفسيره (٥٣٥/١٤)، واحتج به ثعلب في تهذيب اللغة للأزهري (٩٠/٩)، وظاهر كلام الإمام أحمد أنه أصح شيء في الباب.

أحمد أنَّه قال: (ليس في القرن ومقداره شيء أثبت من حديث عبد الله ابن بسر رضي الله عنه، قال: (يعيش هذا الغلام قرنًا) قال: فعاش مائة سنة)[1].

- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم سئل: أنبي كان آدم؟ قال: (نعم مكلَّم) قال: فكم كان بينه وبين نوح؟

قال: (عشرة قرون)[2] لكن جاء في بعض طرقه: (وبينهما عشرة آباء)[3] وهو محتمل الدلالة.

وإذا ترجح أن القرن مئة عام فغني عن البيان أن القرن بمعناه الزماني ليس هو المقصود في أحاديث القرون المفضلة، حيث سبق أن القرن يأتي بهذا المعنى ويأتي بالمعنى الآخر ولا يتحدد في كل موضع إلا بالقرائن التي تحتف به وتعين دلالته في كل موضع بحسبه.

ثالثاً: عدد القرون المفضلة:

تمهيد:

سيحاول هذا المطلب الإجابة عن سؤالين معرفيين؛ أحدهما أصلي والآخر فرع له.

فالسؤال الأول: هل القرون المفضلة ثلاثة قرون أم أربعة قرون؟

---

(١) السنة للخلال برقم (٧٧٤).

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه برقم (٦١٩٠)، وصحح إسناده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها برقم (٢٦٦٨)، وشعيب الأرنووط في أحكامه على ابن حبان.

(٣) رواه الطبراني في الاوسط برقم (٤٧٢١) وأبو الشيخ في العظمة (١٥٩٣/٥) وقال في مجمع الزوائد: (رواه الطبراني في الأوسط....وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف).

والسؤال الثاني: هل هناك فرقٌ واقعيٌّ بين قول من يجعل ضابط القرن توفر جمهوره وأكثر أهله، وبين قول من يجعل نهايته بموت آخر شخص من أفراده؟

كان الشكُّ في عدد القرون المفضلة بناءً على شك عمران بن الحصين وبعض الصَّحابة رضي الله عنهم عندما نقلوا الحديث المحدد لعدد القرون، ففي حديث عمران أنَّه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم –قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة– ثم إن بعدكم قومًا يشهدون ولا يُستشهدون، ويخونون ولا يُؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن)[1].

فمن هذا الشك لا يُدرى هل القرون ثلاثة أم أربعة؟ وقد رجح كل احتمال بعض أهل العلم فكان في المسألة قولان هما:

أ-أنَّ القرون ثلاثة فقط:

وهذا ظاهر صنيع البخاري، واختيار الحافظ ابن حجر حيث قال: (ووقع في رواية ابن الزبير عن جابر عند مسلم ذكر طبقة رابعة...وهذه الرواية شاذة وأكثر الروايات مقتصر[2] على الثلاثة كما سأوضح ذلك في الحديث الذي بعده)[3]، فالحافظ هنا يضعف احتجاج أصحاب القول الآخر بتضعيف هذه الزيادة لمخالفتها لسائر الروايات.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: أصحاب النبي، باب: فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، رقم (٣٦٥٠)، وهو في مواضع أخرى من الصحيح لكن هذا الموضع هو الباب المناسب للاستدلال.

(٢) في الأصل مقتصر!

(٣) فتح الباري لابن حجر (٥/٧).

كما يحتج أصحاب هذا الرأي بما في آخر الحديث من أنه ذكر فشوَّ الكذب والمبادرة للشهادة والخيانة، قال الحافظ ابن حجر: (واتفقوا أن آخر من كان من أتباع التابعين ممن يقبل قوله عاش إلى حدود العشرين ومئتين، وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهورًا فاشيًا، وأطلقت المعتزلة ألسنتها، ورفعت الفلاسفة رؤوسها، وامتحن أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن، وتغيرت الأحوال تغيرًا شديدًا، ولم يزل الأمر في نقص إلى الآن، وظهر قوله صلى الله عليه وسلم:(ثم يفشوا الكذب) ظهورًا بينًا)[1].

وحاصل ما احتجَّ به أصحاب هذا القول أمران: حجة نقلية، وحجة واقعية، فالنقلية أنَّ أكثر الروايات على مجرد ذكر القرون الثلاثة ممَّا يستلزم شذوذ ذكر القرن الرابع، والواقعية هي أنَّ الناظر في القرن الرابع بعد عام ٢٢٠ قد تفشى فيه البدع والأكاذيب ممَّا يدفع القول بخيريته!!

ب - أنَّ القرون أربعة:

وهذا اختيار ابن حبان وشيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: (وقد روي في بعضها بالجزم بإثبات القرن الثالث بعد قرنه فتكون أربعة، وقد جزم بذلك ابن حبان البستي ونحوه من علماء أهل الحديث في طبقات هذه الأمة، فإنَّ هذه الزيادة ثابتة في الصَّحيح)[2].

وقد احتجَّ أصحاب هذا القول بحجتين: نقلية وواقعية، فأمَّا النقلية فهي أنَّ الروايات التي فيها ذكر القرن الرابع ليست شاذة، وإنما هي زيادة ثقة فتقبل، والواقعية أنَّ فشو الكذب ونحوه في الرابع لا تدفع خيريَّته وفضله، فالكذب يفشو

(١) فتح الباري (٧ / ٦).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٠/٢٩٥).

فيه، والبدع أطلَّت، إلا أنَّ السنة أظهر وأكثر تمكناً من أي عصر جاء بعد ذلك فلا تلازم.

ج – الراجح:

والذي يترجح صحته أن القرون الفاضلة أربعة لما يلي من الاعتبارات:

أ–الروايات التي فيها ذكر القرن الرابع ليست رواية واحدة حتى توصف بالشذوذ كما ذكر الحافظ بل هي أكثر من رواية في أكثر من حديث كما يلي:

جاء التنصيص على الرابع في بعض طرق حديث عمران بن حصين نفسه وفيه: (إنَّ خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)[1].

حديث أبي سعيد الخدري وفيه: (يأتي على الناس زمان يبعث منهم البعث فيقولون: انظروا هل تجدون فيكم أحدًا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؟ فيوجد الرجل فيفتح لهم به، ثم يبعث البعث الثاني فيقولون: هل فيهم من رأى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؟ فيفتح له بهم، ثم يبعث البعث الثالث فيقال: انظروا هل ترون فيهم من رأى من رأى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؟ فيكون البعث الرابع فيقال: انظروا منهم أحدًا رأى من رأى أحدًا رأى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فيوجد الرجل فيفتح لهم به)[2]، فهذه الرواية من طريق أبي الزبير عن جابر عن أبي سعيد رضي الله عنهما.

ولهذا قال شيخ الإسلام: (وفي الطريق الثاني لمسلم، ذكر أربعة قرون، ومن أثبت هذه الزيادة قال: هذه من ثقة، وترك ذكرها في بقية الأحاديث لا ينفي وجودها، كما أنه لما شكَّ في حديث أبي هريرة أذكر الثالثة، لم يقدح في سائر

---

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، رقم (٢٥٣٢).

(٢) هو الحديث السابق.

الأحاديث الصحيحة التي تثبت فيها القرن الثالث)[1]. وحديث أبي هريرة الذي يقصده شيخ الإسلام هو ما أخرجه مسلم وفيه أنه عليه السلام قال: (خير أمتي قرني الذين بعثت فيهم ثم الذين يلونهم، والله أعلم أذكر الثالث أم لا؟ ثم يخلف)[2]...الحديث، فأبو هريرة رضي الله عنه شك في قرن اتباع التابعين (الثالث) ومع هذا لم يؤثر شكه على اعتبار قرنهم، فكذلك شك عمران – رضي الله عنه– في القرن الرابع لا يؤثر على اعتباره من القرون المفضلة فهذا ما قصده شيخ الإسلام.

حديث جعدة بن هبيرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الآخرون أرذل)[3].

وقد وثق الحافظ ابن حجر رجاله فقال: (ووقع في حديث جعدة بن هبيرة عند ابن أبي شيبة والطبراني إثبات القرن الرابع... ورجاله ثقات إلا أن جعدة مختلف في صحبته)[4]. فإن كان صحابيًا فالإسناد متصل فتندفع به دعوى الشذوذ، وإن كان تابعيًا فمراسيل كبار التابعين ممَّا يعتد به على صحة المعنى لا صحة الحديث[5].

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٠/٢٩٨-٢٩٩).
(٢) سبق تخريجه.
(٣) أخرجه الطبراني في الكبير برقم (٢١٨٧).
(٤) فتح الباري لابن حجر (٧/٧).
(٥) ينظر: شرح علل الترمذي لابن رجب (المتوفى: ٧٩٥هـ) تحقيق: همام عبد الرحيم سعيد، مكتبة المنار – الزرقاء – الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م (١/٥٤٤).

حديث النعمان بن بشير في المصنف وفيه: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يأتي قوم تسبق شهادتهم أيمانهم، وأيمانهم شهادتهم)[١].

حديث أبي بردة الأسلمي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (خير هذه الأمة القرن الذي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يكون فيهم قوم تسبق شهادتهم أيمانهم، وأيمانهم شهادتهم)[٢].

ب – وأما من جهة الواقع؛ فإنَّ ما احتج به أصحاب القول الأول من أنَّ الرابع ممَّا تفشى فيه الكذب فلا يلزم من فشو الكذب فيه نفي فضله وخيريته، فإنَّ البدع أطلَّت برأسها من عصر الصحابة كما خرجت الخوارج والمرجئة، ومع هذا لم يرتفع فضل عصر الصحابة بظهور هذه الفرق وانشقاق المسلمين، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وقد يقال: لا منافاة بين الخيرين، فإنه قد يظهر الكذب في القرن الرابع، ومع هذا فيكون فيه من يفتح به لاتصال الرؤية)[٣].

ج – جاء في كلام الائمة ما يدل على اعتبار الرابع، فمن ذلك قول الإمام أحمد وهو يفضل معاوية على التابعين رضي الله عنهم: (وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (خير القرون قرني الذي عشت فيهم ثم الذين يلونهم) ثم ثم) [٤] فأحمد هنا يشير بثُمَّ ثُمَّ إلى الثالث والرابع ممَّا يعني أنه نقل الحديث بالمعنى مع محافظته على ما يدل على الرابع.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، برقم (٣٢٤١٣).

(٢) أخرجه مصنف ابن أبي شيبة برقم (٣٢٤١٤).

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٩٩/٢٠).

(٤) السنة للخلال برقم (٧٦٨).

د – وممَّا يصلح أن يشهد لهذا الرأي: أنَّ الرابع إذا قورن بغيره من القرون التي جاءت بعده كان قرنًا عظيمًا في الفضل، فأمَّا من جهة العلم فهو الذي دوِّن فيه العلم، وكُتبت السنن والآثار، وترسَّمت العلوم، كما ظهر فيه الأئمة الأربعة وغيرهم، وقد أطبقت الأمة على جواز التأسي بهم وتقليدهم في الفقه، ولو لم يكن لذلك فضل لم تتواطأ الأمة على جواز تقليدهم، إلى جانب القراء السبعة الذين ضبطوا القراءات الإجماعية، إلى جانب ظهور علماء العربية التي هي لسان الشريعة، وقيامهم بضبط العربية نحوًا ولغةً وشعرًا إلى سائر علوم الإسلام الفاضلة.

الخاتمة

وتشتمل على النتائج والتوصيات

أولًا: النتائج:

١-على كثرة تتبعي لشروح الأحاديث وكتب التفسير والمؤلفات العقدية المفردة والبحوث المعاصرة، والاستعانة بأنظمة الحاسب؛ إلا أني وجدت أنَّ أهل العلم في حقيقة القرن وحدوده وإشكالياته ينقل بعضهم عن بعض بحيث تجتمع مادة كثيرة، وعند المقارنة نجد أنها فكرة واحدة أخذها اللاحق عن السابق، ثم هي بعد ذلك كلام مقتضب جدا ومتفرق، ولم أجد أحدا له تحريرات مثمرة في هذه المسألة ينقلها عنه غيره إلا شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ ابن حجر ولهذا كثر النقل عنهما.

٢-لم تخرج أقوال أهل العلم في مفهوم القرن عن معنيين: الأول أن القرن هو الجماعة من الناس المقترنين في حال واحدة، والثاني أن القرن مقدار زمني ثابت.

٣-مفهوم القرن عند أهل اللغة جاء بمعنيين - كما هو الحال عند علماء الشريعة- إلا أن الغالب على علماء اللغة حمله على مدة زمنية ثابتة، والغالب على علماء الشريعة حمله على الجماعة من الناس.

٤-تأكد للباحث أن حمل القرن على أحد معانيه مع إبطال القول الآخر ليس بصواب، بينما الصواب هو أن القرن حقيقة في المعنيين جميعا ولا يدل على أحدهما إلا بقرينة تحدد المراد وتعين المقصود.

٥-حديث (خير القرون قرني) لا يقصد به إلا الجماعة من الناس وهم صحابته والتابعون وتابعوا التابعين ولا يصح حمله على مقدار زمني ثابت.

٦-من فسر القرن بأنه الجماعة من الناس اختلفوا في تحديد أوله وآخره بناء على ضابطين، الأول: أن أول القرن وآخره إنما يعرف بجمهور أهله وأكثرهم، فإذا كان أكثر الناس من الصحابة فالقرن قرنهم، وإذا كان أكثر الناس من التابعين فالقرن قرن التابعين حتى مع وجود عدد قليل من الصحابة رضي الله عنهم وهكذا

والضابط الثاني هو: معرفة أول واحد من أفراد القرن وآخر واحد، فقرن الصحابة يبدأ من البعثة وينتهي بوفاة آخر صحابي وهو أبو الطفيل، وقرن التابعين من وفاة آخر صحابي إلى وفاة آخر تابعي، وقرن أتباع التابعين يبدأ من وفاة آخر تابعي إلى وفاة آخر أتباع التابعين.

٧-تأكد للباحث أن ضابط القرن بناء على جمهوره أقرب للصواب من ضبط حدوده بأول واحد وآخر واحد، وهذا راجع لانضباط هذا المحدد وقوته التفسيرية من جهة، وضعف الضابط الآخر لكثرة الإيرادات عليه وأهمها تداخل القرون، حيث أن عند وفاة آخر صحابي كان كبار التابعين قد انقرضوا أيضا.

٨-يختلف الذين حددوا القرن بمقدار زمني ثابت على عشرة أقوال، تبدأ من جعل القرن عشر سنوات إلى جعله مئة وعشرين سنةً، ولم أجد أحداً جعله (تسعين) عاماً كما لم أجد أحداً جعله (مئة وعشرة)، وأصح هذه الأقوال أن القرن مئة عام لحديث عبد الله بن بسر – رضي الله عنه- وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: (يعيش هذا الغلام قرنا) فعاش مائه عام.

٩-اختلف أهل العلم في عدد القرون المفضلة، أهي ثلاثة قرون أم أربعة ؟ والراجح أنها أربعة قرون، غير أن الثلاثة على وجه القطع، والرابع على وجه الترجيح.

ثانياً: التوصيات:

القرون المفضلة بحث مناسب لمرحلة الماجستير فأوصي بدراسته من جوانبه كلها: (فضائلها، ومفهومها، وتحديدها، وأحكامها، ومذاهب الفرق فيها، ومواقف الحداثيين والعلمانيين والكتاب المعاصرين منها، مع الرد على المخالفات في ذلك).

فهرست المراجع

- أساسيات البحث العلمي لمنذر الضامن، دار المسيرة للنشر والتوزيع- الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٧ه.
- أصول البحث العلمي ومناهجه لأحمد بدر، دار المعارف، الطبعة الخامسة ١٩٨٩م.
- البرهان في علوم القرآن، للزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.
- تاج العروس للزبيدي، تحقيق: مجموعة محققين، دار الهداية.
- التاريخ الأوسط للبخاري، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي – مكتبة دار التراث، حلب – القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
- تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة: ١٤١٩هـ.
- تفسير البغوي "معالم التنزيل"، تحقيق: محمد عبدالله النمر-عثمان ضميرية، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- تفسير الطبري "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، لمحمد بن جرير الطبري، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

- تقريب التهذيب لابن حجر (المتوفى: ٨٥٢هـ) المحقق: محمد عوامة،الناشر: دار الرشيد – سوريا
- الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ – ١٩٨٦(مع فروق ابي الاشبال الباكستاني).
- التكملة والذيل والصلة للصاغاني، تحقيق: عبدالعليم الطحاوي وآخرون، مطبعة دار الكتب – القاهرة.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة–بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠ه.
- تهذيب اللغة للأزهري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
- التوشيح شرح الجامع الصحيح للسيوطي، تحقيق: رضوان جامع رضوان، مكتبة الرشد–الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ–١٩٩٨م.
- الدر المنثور للسيوطي، دار الفكر–بيروت.
- دليل الفالحين للصديقي الشافعي، اعتناء: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة: ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.
- الرد على المنطقيين لابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- الروح، لابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) تعليق: إبراهيم رمضان، دار الفكر العربي – بيروت، تاريخ الطبع: ١٩٩٦ م.
- زاد المسير لابن الجوزي، خرج آياته وأحاديثه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- سبل السلام للصنعاني، دار الحديث.

- السلسلة الصحيحة للألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ إلى ١٤٢٢هـ – ١٩٩٥م إلى ٢٠٠٢م.
- السنَّة للخلال، تحقيق: عطية بن عتيق الزهراني، دار الراية – الرياض، الطبعة الثانية ١٩٩٤م.
- شرح النووي على مسلم "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج" للنووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية: ١٣٩٢م.
- شرح علل الترمذي لابن رجب (المتوفى: ٧٩٥هـ) تحقيق: همام عبد الرحيم سعيد، مكتبة المنار – الزرقاء – الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م
- الشهادات الغربية المنصفة للإسلام في العصر الحديث، لخديجة جومي، بحث ماجستير مقدم لقسم العقيدة بجامعة أم القرى، لعام ١٤٣٠ ه.
- الصحاح للجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة: ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.
- صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة مصورة عن السلطانية، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

- العظمة، لأبي الشيخ الأصبهاني، تحقيق: رضاء الله بن محمد المباركفوري، دار العاصمة-الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨ه.
- عمدة القاري للعيني، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- غريب القرآن لابن قتيبة، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.
- فتح الباري لابن حجر، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ، ترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي، إخراج: محب الدين بن الخطيب، تعليق: ابن باز.
- فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام لابن عثيمين، تحقيق: صبحي بن محمد رمضان، وأم إسراء بنت عرفة، المكتبة الإسلامية للنشر، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.
- الفروق للعسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع – القاهرة – مصر.
- القاموس المحيط للفيروزآبادي، تحقيق: مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي – بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
- كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن – الرياض.
- لباب التأويل للخازن، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- لسان العرب لابن منظور، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤١٤هـ.

- لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح، لعبد الحق بن سيف الدِّهلوي، تحقيق:تقي الدين الندوي،دار النوادر، دمشق – سوريا،الطبعة: الأولى، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م
- مجمع الزوائد للهيثمي، تحقيق: حسام القدسي، مكتبة القدسي – القاهرة.
- مجموع الفتاوى لابن تيمية، تحقيق: ابن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.
- المحرر الوجيز لابن عطية، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- مختار الصحاح للرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة الخامسة: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- مسند الإمام أحمد، تحقيق شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد وآخرون، إشراف: د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١ه – ٢٠٠١م.
- مشارق الأنوار للقاضي عياض، المكتبة العتيقة ودار التراث.
- مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- المعجم الأوسط، للطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله، وعبدالمحسن الحسيني، دار الحرمين-القاهرة.
- المعجم الكبير للطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية-القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة .	١٨٠٢
تمهيد: فضل القرون الأولى.	١٨٠٦
المطلب الأول: مفهوم القرون المفضلة.	١٨١٠
المطلب الثاني: تحديد القرون المفضلة.	١٨١٨
الخاتمة	١٨٤١
فهرس الموضوعات	١٨٤٩